من وسائل الإسلام للوقاية من العنف

أ.راجع عكاشة
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
-جامعة وهران-

مقدمة:

شاع العنف في عصرنا الحاضر فاكتوت بناره مختلف مجالات الحياة، في المجال الأسري في علاقة الزوج بزوجته، وصلة الأب بأبنائه و الفروع بأصولهم، و في المجال التربوي في علاقة الأساتذة بتلاميذهم و التلاميذ فيما بينهم و الأولياء بالمربين، وفي الميدان الرياضي في صلة المدربين باللاعبين والفرق بالمشجعين، و في الجامعات والجوامع والبيوت والشوارع والإدارات والمؤسسات ... بما ينبئ عن أزمة قيم عميقة تحتاج المجس الماهر الخرّيت الذي يتحسس مكامن الداء فيبادؤه بالوقاية قبل الاستفحال ,و يعاجله بالبتر و الاستئصال.

و الإسلام بوصفه عقيدة و شريعة و نظام حياة له علاجات فعالّة و أدوية استباقية ناجعة يزدوج فيها القانوني بالأخلاقي و القضائي بالدياني بنبراس القرآن الكريم تهتدي ومن قبس الرسول صلّى الله عليه و سلم تستضيء تتغي هذه الأسطر استثمارها و بيان فحواها و جدواها.

أ- تعريف العنف:

1 - لغة: العنف مثلث العين مقابل الرفق و عنّفه لامه و عيّره ومنه قول سيبويه لم أعنّفه"[1].

2- اصطلاحا: عرّفه الدكتور يوسف القرضاوي بقوله:" هو استخدام الشدّة و الغلظة في غير موضعها ، أو في غير أوانها ، أو بأكثر مما يلزم ، أو بغير حاجة إليها، أو بدون ضوابط استعمالها."[2]

ب- آليات الوقاية من العنف في الإسلام:

تتعدد آليات الإسلام للوقاية من العنف بتعدد أشكال العنف و وره و في الآتي ذكر نماذج لهذه الوسائل

1- نشر ثقافة السلم:

فالإسلام مشتق من الجذر نفسه الذي اشتقت منه كلمات السلم و السلم والسلامة ، و السلام من أسماء الله الحسنى ، و الجنة دار السلام، تحيتهم فيها سلام، و تعريف المسلم أنه" من سلم المسلمون من لسانه و يده"[3] و قد ذكرت كلمة السلام في القرآن الكريم أكثر من أربع عشر مرة و لا يكاد يخلو كتاب من كتب الحديث من باب السلام من ذلك أن كتاب رياض الصالحين للنووي فيه عشر أبواب للسلام،بما يؤشر على عظيم قيمته و جليل اعتباره ومرموق مكانته حتى يغدو خير الإسلام ؛ فعن عبد الله بن عمر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم :" أي الإسلام خير ؟قال : تطعم الطعام، و تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[4]

فالسلام رسول المحبة و المحبة صنو الإيمان ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟... أفشوا السلام بينكم" والمسلم سبّاق للخير و الفضل ، يدفع السيئة بالحسنة {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }فصلت34، و يجازي عن الحسنة بأفضل منها {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً }النساء86 ، و يفشي الكلمة الطيبة { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }البقرة83 ، بل يفوح شذا و يترقى إلى الذرى أجمل كلم وأكمل شيم {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً }الإسراء53 , فليس للمسلم فرس بالجهل مسرج لامتثاله قولـه تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً }الفرقان63، أين نحن من جاهلية :

" بغاة ظالمين و ما ظُلمنا و لكنّا سنبدأ ظالمينـــــــــا

ألا لا يجهلنا أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا"[5]

2- محاربة العنف اللفظي:

ومن العنف اللفظي تحريف الكلم عن مواضعه، و تحويل مبناه عن معناه ليا باللسان و طعنا في الدين ، كفعل اليهود مع الرسول الأكرم؛ ذلك بأنهم كانوا يخاطبونه بلفظة " راعنا" و التي لها معنى قبيح مستهجن بالعبرية، و اليهود يورون بها تورية فيستخدمون اللفـظ العربي و يعنون الكلمة العبرية المقاربة، فإلى أي حضيض من التوقح و سوء الأدب انزلقوا"[6] قال الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء46

و هل للمسلم معاملة بالمثل أن يقل كما يقل اللئيم و يلؤم؟ لا ليس له ذلك فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:" استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا:" السام عليك (= الموت و الهلاك) قلت: بل عليكم السام و اللعنة، فقال :" يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله" قلت :" أو لم تسمع ما قالوا ؟ " فال:" قلت : و عليكم".[7]

أكثر من ذلك فإن سمو الذوق الجمالي للتربية النبوية جعلها تتحسس من الألفاظ العنيفة، حتى لو كانت اسما علما ، فللمسمى من اسمه نصيب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أحب الأسماء إلى الله : عبد الله، وعبد الرحمان ،وأقبح الأسماء: حرب و مرة".[8] وقد كان لعمر ابن الخطاب عليه رضوان الله بنت تسمى عاصية ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة.[9] و عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:" ما اسمك ؟ قال: حزن، قال:" أنت سهل" قال:" ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي"، قال ابن المسيب:" فما زالت فينا الحزونة بعد".[10]

قال أبو داوود:" غيّر النبي اسم العاص و عزيز و عتلة و شيطان والحكم وغراب و حباب و شهاب، فسمّاه هشاما، و سمّى حربا سلما، و سمّى المضطجع المنبعث و شعب الضلالة شعب الهدى و بنو الزينة بنو الرشدة."[11]

و قد يأخذ عنف اللفظ صور ة الهجاء اللاذع فيستدعي العقاب الرادع، من ذلك أن أهجى شعراء العربية الحطيئة هجى الزبرقان بن بدر هجاءا مرا مما جاء فيه:

" دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي"[12]

فاشتكاه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فانتدب خبيرا هو شاعر الرسول حسان بن ثابت رضي الله عنه فلما أكد الهجاء سجن عمر الحطيئة و الذي ما لبث أن حوّل سجنه هجاءه استجداءا و عنفه استعطافا فأرسل إلى عمر بن الخطاب أبياته الرقيقة:"

ماذا تقول لأفـــراخ بّذي مـــرخ حمر الحواصل لا ماء و لا شجر
ألقيت كاسبهـــم في قعر مظلـمة فاغفر عليك سلام الله يا عمـــر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشـــر
ما آثروك بها إذ قدمـــــــوك لها لكن لك استأثروا إذ كانت الأثر [13]

فأطلق سراحه و أخذ منه التزاما بعدم هجاء الناس و اشترى منه أ عراضهم ، فقال الحطيئة متشاكيا:

و أخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر و لا مديحا ينفع
و حميتني عرض اللئيم فلم يـخف ذمي و أصبح آمنا لا يفـــزع

3- محاربة العنف المادي:

بشتى صوره و أشكاله " إن الله رفيق يحب الرفق ، و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف".[14]و في الحديث الشريف:" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه و لا ينزع من شيء إلا شانه"[15] .فلا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه وشروره، و" من حمل علينا السلاح فليس منا"[16] قال أبو القاسم صلى الله عليه

وسلم:" من أشار إلى أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، و إن كان أخيه لأبيه و أمه".[17]

أكثر من ذلك المسلم عليه تحري إجراءات السلامة و الأمن و تجنب الرعونة و قلة التحرز و الإهمال، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بقوم في مجلس يسلون سيفا يتعاطونه بينهم غير مغمود فقال:" ألم أزجركم عن هذا، فإذا سل أحدكم السيف فليغمده ثم ليعطه أخاه".[18]

و غني عن البيان أن الردع القانوني مع وجود ضمانات حق الدفاع وعدم تعسف الدولة في اقتضاء حقها في العقاب من شأنه المعالجة الجراحية للعنف، و في إصلاح الجاني و تهذيب سلوكه و تحسين سيرته عبر الإ ستعانة بالأكفاء من الخطباء و الوعّاظ و النفسانين و المساعدين الاجتماعيين و التعاون بين وزارات العدل و الشؤون الدينية و الأوقاف و التربية و التعليم و التضامن و الرياضة و إدارة السجون...و كل ذي صلة تضميد جراح و تدابير احتراز من انتكاس عود إلى العنف أو اعتياد للإجرام.

4- الوسطية:

هي منهج الإسلام إذ هو".. وسط في كل شي: في التصور و الإعتقاد التعبد و التنسك و الأخلاق و السلوك و المعاملة و التشريع".[19] و المسلم يعمر الدنيا أداءا لأمانة الاستخلاف في الأرض امتثالا لأمر الله ، و يرنو بهمته إلى الآخرة دار القرار فأرجله على التراب يعطي لجسده حقه، و بصره فوق السحاب يسمو بروحه إلى العلياء، و لذلك أنكر الرسول صلى الله عليه و سلم تصرف الثلاثة الذين استقالوا عبادته و غلوا في دينهم غير الحق، و مالوا عن الوسط العدل فقال:"

ما بال أقوام يقول أحدهم كذا و كذا ، لكني أصوم و أفطر و أنام و أقوم و آكل اللحم و أتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

فبالوسط نتجنب الغلو و ننأى عن التطرف و نصير عدولا ننفي عن دين الله تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين و نجعل عمارة الدنيا استثمارا للآخرة فتكون الصلاة و النسك و المحيا و الممات لله رب العالمين.

و في الغلو انتكاس فطرة و انحراف سبيل قد يصل بالغالي في الرجاء إلى أن يترك العمل فيتكل ولا يبالي بالمعاصي، و بالغالي في الخوف إلى اليأس من رحمة الله فيسقط في وهدة الوساوس و تفترسه الشكوك فلا يرى في الطاعات جدوى ولا من القربات طائل.

وفي التسيب و الانحلال تطرف لا يقل عنه في التشدد والتعصب، والتطرف قرين العنف يلازمه حيث كان فهو لصوته صدى و لخطوه مدى

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى صارت طرفا

4- تحريم أحكام التكفير و صكوك الغفران:

و أقصد بها الأحكام الجاهزة بتزكية النفس و إدانة الغير لرقة تدين أو نقص التزام أو أخطاء وقعوا فيها أو هنات تلبسوا بها ،فالمدل على الله بالطاعة أفضل منه و أزكى المنكسر أمامه لمعصية، وكما قال العارف بالله ابن عطاء الله السكندري رحمه الله:" ربما فتح لك باب الطاعة و لم يفتح لك باب القبول و ربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول، و رب معصية أورثت ذلا و انكسارا خير من طاعة أورثت عزا و استكبارا" , ؛ دليل ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :"إذا

قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم".[20] بفتح اللام و ضمها، و عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" قال رجل:" و الله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز و جل من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، إني غفرت له و أحبطت عملك".[21]

فعنف التفسيق و التبديع و الصدمة و الترويع كان لبنة الهجرة و التكفير والقتل و التفجير، أما الفقه الحق و الذي يدخل شغاف القلب بلا استئذان فإنه الرخصة من ثقة تراعي الحرية و التفكير و لا تدعي لفهمها العصمة ولا لنفسها النجاة ، ولا تتهم من جهة أخرى آخذا نفسه بالعزيمة بالعنف و التشدد، فالله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، و في تراثنا رخص بن عباس و شدائد بن عمر ، وكل على شاكلته يعمل، لكن منهج النبوة التيسير في الفتوى و التبشير في الدعوة، و الرسول الأكرم صلى الله عليه و سلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما .

5- إرساء ثقافة الحوار:

رأيي صواب يحتمل الخطأ و رأي غيري خطأ يحتمل الصواب، و كل يؤخذ من كلامه و يرد إلا النبي المعصوم ، و الحوار مع الغير هو أمثل طريق وأقوم سبيل لتلاقح الرأي و تجاذب الفكر و تفاعل وجهات النظر و اكتمال الصورة من جميع زواياها فلا تجزّأ أو تجتزأ ، و لا يكون بالحسنى فهذا تقصير عن الكمال بل بالأحسن و الأمثل طلبا للمعالي بلوغا لذروة الجمال قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل125وقال أيضا :{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}العنكبوت46،و في أدبياتنا الإسلامية أسفار ضخام عن طرائق البحث و فنون المناظرة و آداب الخلاف و سبل الحجاج، ومن أصول مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس و الذي به نتمذهب أصل "مراعاة الخلاف" ومن قواعد الأعلام النبلاء قاعدة " لا إنكار في المسائل الخلافية" بما يحصننا من عنف التعصب الأعمى و التشرنق الضيق، والتخندق المغلق في زاوية رأي و وجهة نظر بمثل ما لها حق الوجود لغيرها، ولذلك وجدنا كتب الفقه المقارن موشحة بالأدب الجم و مرصعة بسعة الصدر وحلم العلم ، فكانت الميدان الفسيح الرحب لحرية الرأي و اختلاف الاجتهاد . فوجد في الفقه الإسلامي أهل رأي و أهل حديث ، و في أصول الفقه متكلمون و فقهاء ، وفي علم الكلام فرق و مذاهب، و في الأديان ملل و نحل..و في الفلسفة الغزالي و ابن رشد وفي الكتب تهافت الفلاسفة و تهافت التهافت وفي علم النحو بصريون وكوفيون و في الشعر نقائض الفرزدق و جرير...كلها حوار مع الآخر المغاير في الدين أوالمذهب أو التوجه السياسي أو الميل الحزبي أو المنطق الفكري... و يبقى في الأصلح بذور البقاء، أما الزبد فيذهب جفاءا.

الحوار أسلوب حضاري للتواصل مع الموافق و المخالف، ومع المسلم وغير المسلم، فالإمام علي كرم الله وجهه أرسل حبر الأمة عبد الله بن عباس ليحاور الخوارج بالحجة و يقارعهم بالبرهان، و بعد إقامة الحجة حارب من بقي منهم على الضلال و عاجلهم العقاب و فرّق بين مخالف في التوجه والتفكير وحامل للسلاح و التكفير،و بون واسع بين من أراد حقا فأخطأه و بين من أراد باطلا فأدركه.

6- التربية الأسرية:

بوصف الأسرة هي المحضن الأول للإنسان ، فإنها من جهة يمكن أن تكون خط الدفاع الأول ضد العنف، و من جهة أخرى إذا لم نحصّنها منه قد تصبح مرتعه الخصب.

يعرّف العنف البيتي بأنه:" الإيذاء الجسدي الذي يمارسه أحد أعضاء العائلة على فرد أو أفراد آخرين فيها".[22]و تكشف أغلب الدراسات أن الإيذاء الجسدي يستهدف في أغلب الأحوال فئة الأطفال ، ولا سيما من تقل أعمارهم عن ست سنوات، و يمثل العنف الذي يمارسه الأزواج على الزوجات النوع الثاني الأكثر شيوعا.. و يرى بعض خبراء العلوم الاجتماعية أن البيت في المجتمعات العربية قد أصبح من أكثر الأماكن خطرا، ومن الوجهة الإحصائية ، فإن البيت في المجتمعات الغربية قد أصبح من أكثر الأماكن خطرا، ومن الوجهة الإحصائية ؛ فإن الإنسان الفرد، مهما كان عمره و جنسه، يكون أكثر عرضة لمخاطر الإيذاء الجسدي في البيت منه في الطرقات و الشوارع و المواقع الأخرى خارج البيت، و في بريطانيا على سبيل المثال فإن واحدة من كل أربع جرائم قتل يرتكبها أحد أفراد العائلة ضد آخر داخل البيت،. أما من ناحية النساء فإن المرأة تتعرض لمخاطر من جانب رجال عائلتها أو أقربائها أو معارفها، أكثر بكثير مما تعانيه من الغرباء.[23]

والتربية الإسلامية الصحيحة كفيلة بوأد العنف في المهد،؛ فالزوج: خيره لأهله:" خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي"، روت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنه لما حلت من طلاق ذكرت لرسول الله أن معاوية بن أبي سفيان و أبا الجهم خطباها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" أما أبو الجهم فلا يضع

عصاه على عاتقه (يضرب النساء)، و أما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد".[24] فكانت نعم المشورة و المشير، و إن نشزت الزوجة و خرجت عن طاعة زوجها، عليه أن يعظها بالكلمة الطيبة و القول الرقيق فإن لم تتعظ انتقل من الوصل إلى الهجر وصولا إلى التأديب الذي لا يتعسف فيه؛ فعن حكيم بن معاوية عن أبيه : قلت : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال :" تطعمها إذا طعمت و تكسوها إذا اكتسيت ، و لا تضرب الوجه، و لا تقبح، و لا تهجر إلا في البيت".[25] و الأب: يحنو على أبنائه و يتلطف، ولا يزرع العنف سلوكا فيجنيه عقوقا

و ينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوّده أبوه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه و سلم يقبّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله :" إنه من لا يرحم لا يُرحم.[26]

و الابن: يمتثل قول الله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }الإسراء23" , حتى لوكانا مشركين يصاحبهما في الدنيا معروفا، و لا يكون بعنفه مع غيره سببا في أذى ينالهما، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" من الكبائر شتم الرجل والديه" قيل :" يا رسول الله، و هل يشتم الرجل والديه؟ قال:" نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، و يسب أمه فيسب أمه".[27] فالمتسبب كالمباشر

هل بعد هذا الإرشاد و التوجيه، و الحكمة و التشريع يبقى للعنف محل أو للتطرف تربة؟ أين نحن من أخبار تئخن يومياتنا بجراحها النازفة تجعل الحليم

حيرانا يعتدي فيها الفروع على الأصول و يعذب فيها الآباء أبناءهم، وتسام المرأة الهوان...؟ ولات حين مندم فلو التزمنا تعاليم ديننا لرفقنا بالقوارير، ولاستوصين بهن خيرا، و لرحمنا الصغير و وقّرنا الكبير و أعطينا لكل ذي حق حقه.

7- استثمار السيرة النبوية:

الرسول عليه الصلاة و السلام هو الإنسان الكامل و الأسوة الحسنة والرحمة المهداة ، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء107، وقال أيضا {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران159، و دلائل ذلك فوق الحد و العد ، و مواقف النبي الإنسان و الرسول القائد و الإمام العادل و القاضي الحازم و الزوج الحاني والأب الرحيم.. دستور أخلاق و نظام حياة يسمو فوق العدل إلى الفضل، ويجاوز العقوبة إلى العفو و يصفح الصفح الجميل ، حيث يكون لكل ذلك محل و مصلحة، فأحداث بدر و صلح الحديبية و حادثة الطلقاء و دستور المدينة و الموقف من أهل الكتاب... وغيرها كثير كلها شواهد و مشاهد تظهر رونق الإنسانية الحقة، ومثالية الإسلام الواقعية و التي بها تتجسد في أكمل صورة حقوق الإنسان، بل وحتى الحيوان والنبات و البيئة.

فدراسة السيرة النبوية في المدارس وجعلها مقياسا قارا له حجم ساعي معتبر ووجود في المقررات المدرسية ثابت ، وتدريسها تفصيلا وتأصيلا في المساجد والإعلام المسموع والمشاهد من شأنه تربية الجيل على الفضيلة والخلق الكريم، فيكون من العنف في مأمن ، ومن التطرف في حصانة.

9- الحريــة:

في كنف الحرية ينزوي العنف و يضعف، و في نير الاستبداد ينتشر و يقوى، فالضغط يولد الانفجار، و التضييق يصنع الانفلات ، و متى استعبدنا الناس- وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا – صنعنا منهم إما عبيدا بلا كرامة، و إما جلادين بلا رحمة ، و عنفوان الشباب عندما يتنسم الحرية حقوقا مصانة و عدالة مطبقة وإعلاما مفتوحا و تعبيرا مكفولا وصوتا مسموعا وقدرا محفوظا يعمل في وضح النهار بناءا للوطن حارسا للقيم، وهب أنه حدث انفلات شر، فهو استثناء من قاعدة خير وأصل فضيلة يثبتها ولا ينفيها ، أمره هين و رتقه سهل، أما لو حشرج صدره وضاق نفسه وموورس العنف عليه ،فإنه كما الزجاج يدافع الكسر بالصراخ والضرب بالجراح؛ فيعمل معول الهدم لينتقم، ويبدي مخالب الكراهية ليثأر ، فيتسع الرتق على الراقع.

وغني عن البيان أن الحرية ليست الفوضى والتعبير لا يعني التعيير، وأن النظام العام والأمن العام والسكينة العامة حمى المصلحة العامة لا يمكن تعديه أوالافتئات عليه، و كما قيل:" حيث يملك الكل أن يفعل ما يريد لا أحد يفعل ما يريد وحيث الكل سيد فالكل عبيد".

9- تثمين المراجعات الفكرية:

كثير ممن سلك العنف سبيلا و التطرف منهجا و شادّ هذا الدين وصل إلى طريق مسدود " فإن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى"، و تبين بعد حين أنه زل به الفهم و زلقت به القدم فصحح المسار و عاد إلى الحوار و بعد تأجيج النار صار يطفئ الحرائق، كفعل قادة الجماعات الإسلامية في مصر ومن بعدهم في ليبيا وشهادتهم لله و للتاريخ بأنهم أخطأوا الحق وتنكبوا الجادة، فكتبوا مراجعاتهم"

ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل"، وهي تصحيح مسار و إبراء ذمة ونصح أمة و إعلان توبة تفيد سامعها و قارئها أكثر من قائلها وكاتبها، وفي نشر مراجعات مرجعيات جماعات العنف وقاية من تأصيل خاطئ و سند دعيّ و هي شهادة إدانة للعنف و الإرهاب من أهلها.

خاتمة:

العنف وباء عام وداء عصي يحتاج غرفة عمليات تتضافر فيها جهود علماء الديــن و القانونيين و رجالات التربية و التكوين و القضاة و الأخصائيين النفسيين و خبراء الرياضة و علماء الاجتماع و عموم المثقفين و مؤسسات الدولة و المواطنين العاديين لأن الكل منه يعاني فالكل به معني، و لمحاربته يجب تجنيد المنابر والمحابر والجامعات و الجوامع و الجمعيات و الهيئات و القضاء و كافة المؤسسات ، كل في موقعه يقدم بلسم الشفاء، ومن تكامل العلاجات الموضعية نقارب العلاج التام، والذي ينبغي تحصينه وحماية مناعته و نجاعته بالحرية والعدالة والتربية والتوجيه، والإصلاح و التعليم، فضلا عن التقنين والتشريع.

الهوامش:

1- الزمخشري، أساس البلاغة ، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، ص 464

2- ينظر، يوسف القرضاوي، الإسلام و العنف دراسة تأصيلية، دار الشروق، القاهرة، 2005, 1426، ط1، ص8

3- متفق عليه، ينظر البخاري ج1 ص 51،52، و مسلم، ص40

4- متفق عليه

5- الأبيات لعمرو بن كلثوم

6- ينظر : صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملاين، بيروت 1982، ط4، ص 117.

7- صحيح مسام، كتاب السلام (2165)

8- متفق عليه

9- أخرجه مسلم في الأدب: باب استحباب تغيير الاسم القبيح (21349)

10- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحزن، (6193)

11- بنظر أبو داوود، السنن، ج5 ، ص 241، .243

12- المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416، 1996م، ج 1 ، ص 476.

13- المبرد ، المصر نفسه، ج1، ص 476

14- رواه مسلم (2593)

15- رواه مسلم (2594)

16-رواه مسلم (101)

17- مسلم في البر و الصلة، باب النهي عن الاشارة بالسلاحإلى مسلم(2616)

18- أخرجه أحمد في مسنده (3/ 230)، و الحاكم في المستدرك5 4/ 290) و قال حسن الإخراج .

19- يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف، دار البعث، قسنطينة، ط2، ص24

20- رواه مسلم، (2623)

21- رواه مسلم (2621)

22- أنتوني غدنر، علم الإجتماع، مركز دراسات الوحد العربية، بيروت ، 2005 ، ط1، ص 267.

23- أنتوني غندر، المرجع نفسه و الصفحة نفسها.

24- رواه مسلم، في الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها.

25- الإمام أحمد، المسند، (5/ 3)

26- البخاري، في الأدب، باب رحمة الولد و تقبيله (5957).

27- البخاري في الأدب، باب لا يسب الرجل والديه (5973).